الباب الثانى

عصـــر الأنبيـــاء

الفصل الأول

ميثـــاق ابراهيم

يختتم سفر التكوين التاريخ العام للجنس البشرى فى العصور الأولى منذ بدء الخليقة بحكاية برج بابل ، وتفرق الناس فى شـــتى بقاع العالم من هذا المركز الذى كانوا يجتمعون فيه• ثم يضيق الكتاب نطاق حكاياتهم ويركزها حول الشعب العبرى وحده • وهنـا يتخذ التاريخ شكل سلسلة من التراجم يصور من خلالها مصير هذه الأمة لا فى هيئة خطوط باهتة عامة ، وانما فى مجموعات من الصـــور الملونة البراقة التى تســـجل مغامرات الرجال الأفراد ، أجـــداد هذا الجنس • والوحدة التى تربط بين حياة الشيوخ الأجداد ليست مجرد سلسلة من الأنســـاب ، وانما تربط بين هؤلاء الأجداد المصـــالح المشتركة بقدر ما تربط بينهم رابطة الدم ، فقد كان هؤلاء الشيوخ جميعا بدوا رعاة يتنقلون بقطعانهم من مكان لآخر بحثـــا عن المرعى الخصب ،ولم يكونوا قد ركنوا بعد لحياة الزراعة الرتيبة ، وفى نفس الحقل الذى كان يعمل فيه آباؤهم وأجدادهم من قبل •• وباختصار فان كتاب سفر التكوين يصورون عصر الرعى بملامح واضحة وألوان حية لم يعتمها الزمن ، وما تزال هذه الملامح تأسر القارىء بسحرها الذى يفوق الوصف على الرغم من التغييرات التى عشناها فى حياتنا الحديثة • ويتصدر هذا المعرض التصويرى الذى صـــورت مناظره بخلفية من الطبيعة الهادئة ، شخصية ابراهيم الجليلة • فبعد أن ترك ابراهيم بابل ، موطن ميلاده ، قيل انه رحل الى أرض كنعان • وهناك ظهر له الرب وأكد له المستقبل الباهر والمجد لبنى جنسه • ولكى يؤكد الرب هذا الوعد لابراهيم ، ارتضى ، كما قيل ، أن يعقد بينه وبين

ابراهيم عهدا مقدسا ، متبعا فى ذلك كل المظاهر المألوفة التى كانت تتبع بين الناس فى مثل هذه الظروف • وتقدم لنا حكاية هذا العهد لمحة ممتعة عن الوسيلة التى كان يتبعها المتعاهدون فى المجتمع البدائى بقصد انجاز عقد ملزم بين الطرفين المتعاقدين •

فنحن نقرأ فى سفر التكوين أن الرب أمر أبراهيم قائلا : « لتضح لى ببقرة عمرها ثلاث سنين ، ونعجة عمرها ثلاث سنين وكبش عمره ثلاث سنين ويمامة وحمامة صغيرة » • فأخذ ابراهيم البقرة والنعجة والكبش ، وشطر كلا منها الى شطرين ووضع كل شطر على الشطر الآخر • أما اليمامة والحمامة فلم يشطرهما وعندما تزاحمت الطيور الجارحة على لحم الذبائح طردها ابراهيم • وبينما كانت الشمس تغرب ، راح ابراهيم فى نوم عميق وقد تملكه الفزع من الظلام الحالك • فلما غربت الشمس تماما وأظلم الكون ، أبصر ابراهيم أتونا يتصاعد منه الدخان ، وشعلة من النار تمر بين أجزاء الضحية ، وهنا أعلن الرب عهده لابراهيم •

ونلاحظ من خلال هذا الوصف أن الفزع الذى انتاب ابراهيم عند مغيب الشمس كان نذيرا بقدوم الرب الذى مر بين أجزاء الضحية فى هيئة أتون يتصاعد منه الدخان أو شعلة من النار • وبهذا يكون الرب قد استجاب للتقاليد الشرعية التى كان يتطلبها قانون العبريين القدماء للتصديق على العهد • فنحن نعرف عن النبى « ارميا » أنه كانت من عادة الطرفين المتعاهدين أن يذبحوا بقرة يشطرونها الى شطرين ويمرون بينهما • ومما يؤكد كل التأكيد أن هذا كان هو النظام المتبع فى هذه المناسبة ، العبارة العبرية التى تستخدم فى عقد عهد بين طرفين وهى « قطع العهد » • كما يؤكد هذا الاستدلال ما يشبه هذا فى اللغة والطقوس الاغريقية ، ذلك أن الاغريق يستخدمون عبارات شبيهة بعبارة العبرين ، كما يمارسون طقوسا شبيهة بطقوسهم • فهم يتحدثون عن « قطع اليمين » بمعنى القسم به ، وعن « قطع

العهد » بمعنى عقد العهد ، وهذا التعبير ؛ وبالمثل التعبير العبرى واللاتينى ، مستمد بدون شك من عادة ذبح الضحية وشطرها بوصفها وسيلة لخلع المهابة على القسم أو العهد .

فنحن نعلم ، على سبيل المثال . أنه عندما كان أغاممنون على وشك أن يقود الاغريق الى طروادة ، أحضر العراف « كلخاس » خنزيرا بريا الى ميدان السوق وذبحه وشطره الى شطرين ، شطر جهة الشرق وشطر جهة الغرب ، ثم مر كل رجل شاهرا سيفه بين شطرى الخنزير وهو يغمس طرف سيفه فى دمه . وبهذا أقسموا على عدائهم « لبريام » (١) . وقد كانت الطقوس الاغريقية تفرض على المتعاهدين فى بعض الاحيان — وان لم يكن هذا أكثر شيوعا — أن يقف قاسم اليمين على جسد الضحية ، بدلا من أن يمر بين شطريها . فقد كان المتهم فى المحاكمات التى كانت تجرى فى محكمة «أريوباحوس» فى « أثينا » ، يقسم اليمين وهو واقف على أجزاء من جسد خنزير برى ، وكبش وثور قام بذبحها أشخاص بعينهم فى أيام محدودة . وعندما كثر خطاب « هيلين » الشقراء ، خشى والدها من انتقام الأحبة الذين ترفضهم ابنته ، فجعلهم جميعا يقسمون اليمين على حمايتها وحماية من تختاره من بينهم ليكون زوجا لها مهما يكن كنهه . ولكى يخلع على القسم نوعا من الرهبة ضحى بفرس وقطعه الى أجزاء ، وطلب من جميع الخطاب أن يقسموا اليمين وهم واقفون على أجزاء جسد الفرس . وقد كانت هناك فى حجرة المداولات فى الأولمب صورة للاله « نموس » الذى كان يكنى باله القسم . وكانت من عادة الرياضيين وآبائهم وأخوتهم وكذلك المدربين ، أن يقسموا اليمين وهم واقفون على أجزاء جسد الخنزير البرى المذبوح على ألا يقوم

---

(١) هو ملك طروادة وفقا للأسطورة الاغريقية وزوج « هيبوكا » واشهر أولاده « هكتور » و « باريس » . وقد قتل بريام هذا فى حرب طروادة .

اللاعبون بالعاب غادرة • وقد كان هناك فى « مسينيا » مكان يسمى « قبر الخنزير البرى » ؛ لأن هرقل ، فيما يقال ، كان قد أقسم عنده هو وأبناء « نيليوس » وهو واقف على قطع من جسد خنزير برى مذبوح •

ومثل هذه الشعائر التى تتبع عند القسم أو عند عقد معاهدة سلمية كانت تتبعها القبائل البربرية فى الزمن القديم • فقد اعتادت قبيلة « مولوسيان » أن يقطعوا جسد ثور الى أجزاء صغيرة عند عقد معاهدة ، ويقسمون اليمين على هذه الأجزاء على الا ينقضوها • على أننا لا نعرف على وجه التحديد ماذا كانوا يصنعون بأجزاء الحيوان المذبوح فى احتفالاتهم • واذا رأى رجل من « السكيثيانيين » أن شخصا آخر قد أخطأ فى حقه ، وأحس أنه أعزل ازاءه ، يتوسل الى أصدقائه أن يعاونوه على النحو التالى : يذبح ثورا ويقطعه الى أجزاء ويغلى لحمه • ثم يبسط جلده المدبوغ على الأرض ويجلس فوقه وذراعاه مكتوفتان خلفه كما لو كان مكبلا • وقد كانت هذه هى أكبر أشكال التضرع العاجل عند « السكينيانيين » • فاذا جلس الرجل على هذا النحو ، والى جانبه اللحم المطهى ، فان كل فرد من من أصدقائه أو اقربائه أو أى شخص آخر يختاره لمساعدته ، يأخذ قطعة من اللحم ويضع قدمه اليمنى على الجلد ويعده فى الوقت نفسه بأن يمده بالعديد من رجال الحرب والافراس وبكل ما يمتلكه ما لم يكن رهينة عنده ، وذلك لكى يساعد المشتكى فى الانتقام من عدوه • وقد يعده البعض بأن يقدم له خمسة من الرجال أو عشرة أو أكثر من ذلك• أما أفقر رجال قومه فيعدونه بتقديم مساعدتهم الشخصية • وبهذه الطريقة تتألف قوة كبيرة يحسب حسابها فى شىء من الفزع لأن كل فرد فى هذه القوة قد أقسم اليمين على أن يقف فى صف صديقه • وينص قانون المحاكم « التبتية » حتى اليوم على « ان يقسم اليمين الكبير ، وهو ما يحدث نادرا ، فان حالف اليمين يقسم به وهو يضع كتابا مقدسا على رأسه ويجلس على جلد ثور مدبوغ ، ويأكل قطعة من

قلب هذا الثور المضحى به ؛ وتكاليف هذه الشعيرة تتحملها الجماعة التى تقوم برفع الدعوى على المتهم .

وما تزال القبائل البدائية فى افريقيا والهند تتبع مثل هذه الشعائر عند اعلان حالة السلم بين طرفين متنازعين . فعندما يعلن « الكافيروندیون » فى افريقيا الشرقية البريطانية حالة السلم بعد الحرب ، فان الجانب المغلوب يذبح كلبا ويقطعه الى جزئين . ثم يحمل ممثلون من الطرفين المتحاربين لحم الزند ولحم المؤخرة بصفة خاصة فى أيديهم ، ويقسمون فوق هذه الأجزاء على اشاعة السلم والصداقة فيما بينهم . ومثل هذه الشعيرة تقوم قبيلة « ناندى » بتأديتها ، وهى قبيلة أخرى تسكن المنطقة نفسها ، وذلك عند عقد معاهدة سلمية . فهى تأتى بكلب وتذبحه وتشطره شطرين ، ويحمل كل شطر ممثل عن الطرفين المتحاربين ؛ ثم يأتى رجل ثالث ويقول : « ليقتل من ينقض هذه المعاهدة . كما قتل هذا الكلب » . وعندما تشن عشيرتان من قبيلة « باجيسو » ــ وهى قبيلة من قبائل « البانتو » التى تقطن عند جبل « الجون » فى « افريقيا الشرقية البريطانية » ــ الحرب بعضها على بعض ثم ترغبان فى اقرار السلام بعد ذلك ، فان ممثلين من كلتا العشيرتين يحملان كلبا يمسك أحد الطرفين برأسه ، بينما يمسك الطرف الثانى برجليه الخلفيتين ، ثم يأتى رجل ثالث ويشق الكلب بضربة واحدة الى شقين ؛ ويرمى جسد الكلب فى الأحراش حيث يترك هناك . وبعد هذا يمكن لأفراد العشيرتين أن يختلط بعضهم بالبعض الآخر دونما خوف من متاعب أو أخطار .

واذا شاء حيان فى قبيلة « وانشاجا » التى تسكن المنطقة نفسها ، أن يعقدا حلفا صارما ، أو معاهدة سلمية فان الشعائر التى تؤدى للتصديق على هذا الحلف أو تلك المعاهدة تجرى على النحو التالى : يجتمع المتحاربون من كلا الحيين ويجلسون متراحمين فى شكل دائرى فى مكان ما فى الخلاء . ثم يلف حبل حول الجالسين ويعقد

طرفاه السائبان ، بحيث يبدو الجالسون كأنهم مكبلين بالحبل . وقبل أن يعقد الحبل من طرفيه السائبين ، يحرك الحبل ثلاث أو سبع مرات حول الجالسين بعد أن يربط فيه جدى صغير يتحرك مع الحبل وفى النهاية يمر الحبل من طرفه المعقود فوق جسد الجدى الذى يحمله رجلان بينهما وهو ممدد تماما . بحيث يكون الحبل والجدى متوازيين . ويقوم بهذه العملية ولدان لم يختتنا . وبالتالى لم يتزوجا وليس لديهما أولاد . ومغزى هذا العمل واضح ، فالصبيان يرمزان الى عدم الاخصاب ، أو الى موت الشخص دون أن ينجب ، وهو الامر الذى تنظر اليه القبيلة على أنه أكبر لعنة يمكن أن تحل بانسان . كما أنها تعزى فى العادة الى ارادة القوى العليا . وفى معظم هذه المعاهدات يدعون باحلال هذه اللعنات على من يحنث باليمين ، وفى الوقت نفسه يدعون بكثرة الانجاب لمن يبقى على يمينه. والهدف من قيام الصبية غير المختونين بهذه الشعائر ، ليس مجرد الاشارة بالرمز الى مصير الحانث باليمين ، وانما التأثير عليه كذلك عن طريق السحر الانجذابى ، ومن أجل هذا السبب نفسه ، يقوم الرجال العجائز أنفسهم بتلاوة عبارات اللعنة والبركة ، لان هؤلاء قد تجاوزوا سن الاخصاب . وهذه الدعوات هى : « اذا قمت بايذائك بعد هذا العهد ، أو دبرت مكيدة ضدك دون أن أحذرك ، فلأنشق الى نصفين كما انشق هذا الحبل وذاك الجدى » . ثم يرد الكورس قائلا: « آمين ». « ولأقتل كما يقتل ولد صغير ويموت دون أن يترك ذرية وراءه » . فيرد الكورس قائلا « آمين » . « وليفن قطيعى عن آخره » . ويرد الكورس قائلا « آمين » . « وليكن عدد أولادى كعدد النحل » فيرد الكورس بقوله : « آمين » . الى آخر هذه الدعوات . فاذا انتهى ممثلو الحيين المتعاهدين من حلف اليمين ، يقطع الحبل ويشق الجدى الى نصفين فى آن واحد بضربة واحدة ، وينثر الدم المنسكب على الطرفين المتعاهدين ، بينما يحل شيوخهم اللعنات والبركات على كل الطرفين دون تحيز عن طريق ترديدهم لعبارات شاملة . ثم يأكل الشيوخ الذين جاوزوا سن الانجاب لحم الجدى ويقطعون الحبل الى

جزئين ويتسلم كل طرف من المتعاهدين جزءا منه ؛ ويحافظ عليه فى حرص • فاذا انتشر وباء أرجعه الكهنة الذين يقومون بتفسير ارادة القوى العليا ، الى نقض سكان البلد الملوبوء العهد بعمد أو غير عمد ، فلابد من التكفير عن ذنب الحبل أو كما يعبر عن ذلك الأهالى « بتبريد الحبل » • ذلك أن القوة السحرية التى خلعها العهد على الحبل تمراس نشاطها ؛ حسب اعتقادهم ، فى ذلك الانتقام ممن دنس قدسية هذا الحبل» • ذلك أن القوة السحرية التى خلعها العهد على الحبل تمارس وروثها ؛ بينما تتلى الكلمات الآتية : « هؤلاء النـــاس قد ارتكبوا الخطأ دون علم ، ومن ثم فأنا أكفر اليوم عن ذنبهم أيها الحبـــل ، فلتقبل التكفير • لتقبل التكفير • لتقبل التكفير » • ثم يكفر الطبيب عن هؤلاء الذين نقضوا العهد بأن ينثر عليهم دواء سحريا يتكون من سلحفاة وحيوان العزير ، وظبى ، بالاضافة الى قدر من النباتات • وكل هذا يبث فيه الطبيب السر بأن يضع فيه حزمة من الاعشـــاب المتنوعة ويتلو عليه بعض الكلمات السحرية •

وتتفق شعائر عقد معاهدة السلام التى تتبعها بعض القبائل فى افريقيا الجنوبية مع هذه الشعائر فى شكلها العام ، وان اختلفت عنها بعض الشىء • فاذا شاء زعيم قبيلة « بارولونج » أن يقد معـــاهدة سلمية مع زعيم آخر لجأ اليه طلبا للحماية ، فهو يأخذ معـــدة ثور ويبقرها ؛ ثم يزحف الزعيمان واحدا تلو الآخر من خلال فتحة المعدة، فيعلنا بذلك أن قبيلتيهما قد أصبحتا اثر ذلك كلا واحدا • وتتبـــع قبيلة « بتشوانا » مثل هذا النظام « اذا ما عقد زعيمان من زعمائها (تشوارنجا موشوانج) حلفا أو اتفاقا بينهما » • فهما يذبحان حيوانا ؛ ويمسك الطرفان المتعاهدان ببعض أجزاء أمعائه بحيث تتقابل أيديهما وتكون مغطاة بمحتوى أمعاء الحيوان المضحى به • ويبـــدو ان هذا الاجراء هو أكثر صور الاتفاق مهابة يعرفه الجمهور فى هذا البـــلد • فلقد أقيمت هذه الشعائر أكثر من مرة فى « شبوشنج » بينما كنت

هناك ، وذلك عندما لجأ بعض الزعماء الى « شيكهوم » ووضعوا أنفسهم تحت حمايته » .

ومثل هذه الشعائر تتبعها بعض القبائل التى تسكن تلال «أسام» وذلك عندما يقومون بعقد معاهدة سلمية . فقبيلة « ناجا » تتبع عدة وسائل فى تأديةاليمين . وأكثر هذه الوسائل شيوعا وقدسية ، أن يمسك أحد الطرفين برأس كلب أو دجاجة ، بينما يمسك الطرف الآخر بالذيل أو الأرجل ، ثم يذبح الحيوان أو الطير بآلة تسمى « داو » ، وهذا رمز لمصير الحانث باليمين . ومن بين الشعائر التى تتبعها قبيلة « ناجا » وفقا لمصدر آخر ، الشعيرة الآتية : « اذا أقسم أفراد القبيلة على المحافظة على السلم أو أى وعد آخر ، فانهم يضعون قصبة البندقية أو الرمح بين أسنانهم . وهم يقصدون بذلك أنهم اذا لم يبقوا على اتفاقه فانهم يكونون على استعداد لأن يقتلوا بأحد هذين السلاحين . وهناك شكل آخر بسيط من أشكال القسم ، وان يكن ملزما على حد السواء ، وهو أن يمسك الطرفان بطرفى رمح حجرى ، ثم يكسر هذا الرمح من الوسط بعد أن تترك قطعة منه فى يد الذين يمسكون به . علىأنأكثر الايمان قداسة يكون ، فيما يقال ، عندما يأتى كل طرف من الطرفين المتعاهدين بدجاجة ، ويقبض أحد الطرفين على رأسها بينما يمسك الطرف الآخر بأرجلها ثم تمزق أربا ، مشيرين بذلك الى المصير الذى سيلقاه المخادع أو ناقض العهد » وتتبع قبائل أخرى فى « أسام » تنتمى الى مجموعة « ناجا » طرقا أخرى تختلف بعض الشىء عن الطرق السابقة فى سبيل فض النزاع . « اذ يمسك كل طرف من الطرفين المتقاصيين بطرف سلة مصنوعة من الخيزران بداخلها قطة حية ، ثم يهوى رجل ثالث على القطة عند صدور اشارة اليه ، فيشقها بسلاح حاد بحيث يلطخ الدم السلال . وعندما كنت أشهد هذه الشعائر فى مناسبة من المناسبات ، قيل لى : ان هذا الاجراء هو شكل من أشكال اقرار السلام أو عقد معاهدة ،

وأن ذبح القطة يربطهم فى رباط من العهد • ويعد القسم على الصداقة بين الزعماء عند عشائر « لوشاى كوكى » ، فى أسام أمرا خطيرا • اذ يربط حيوان المثان (وهو من فصيلة الثور الأمريكى) فى عمود ، ثم تأتى الجماعة التى تنوى القسم ، ويمسك كل فرد منها برمح فى يده اليمنى ويطعن المثان خلف رقبته بقوة بحيث يتدفق الدم ، ويكررون عبارة فحواها أنهم سيظلون أصدقاء طالما جريت الانهار فى الأرض • ثم يذبح الثور بعد ذلك وتدهن جباه المقسمين وأرجلهم ببعض دمه ، كما يأكلون قطعا صغيرة نيئة من كبده لكى يكونوا أكثر ارتباطا بالقسم » •

والآن علينا أن نتساءل : ما معنى ذبح الضحية عند عقد عهد أو عند خلف اليمين ؟ •• ولماذا يصبح العهد أو القسم مصدقا عليه من الطرفين عن طريق التضحية بحيوان وقطع جسده الى أجزاء يمشى الطرفان بينها أو يقفان عليها ، ثم يلطخان أنفسهم بدم هذا الحيوان ؟ ان هناك نظريتين تجيبان عن هذه التساؤلات • النظرية الأولى تسمى نظرية « الجزاء » ، والأخرى تسمى نظرية « السر المقدس » أو نظرية « التطهير » • ولنبدأ بالنظرية الأولى • وذبح الضحية ، بناء على هذه النظرية ، ثم تقطيعها الى أجزاء ، يرمز الى الجزاء الذى سيحل بالشخص الذى يخون العهد أو يحنث باليمين ، فمصير هذا الشخص كمصير الحيوان ، هو القتل • ومن المؤكد أن هذا التفسير يبدو أنه التفسير الصحيح للشعائر التى تتبعها بعض الشعوب • فقبيلة الواتشاجا تقول فى أثناء تأديتها لشعائرها : « لأنشق الى نصفين كما ينشق هذا الحبل وذلك الجدى » • كما تقول قبيلة « ناندى » عندما تذبح كلبا وتشطره الى شطرين فى هذه المناسبة : « ليقتل من ينقض العهد كما يقتل هذا الكلب » •

ومثل هذه الشعائر كان يتبعها « الأومبيون » ، وهم شعب يسكن دلتا نهر « النيجر » ، ويعرفون باسم « الكالاباريون الجدد » وقد كان هؤلاء يقومون بتأدية هذه الشعائر مصحوبة بالدعوات الشريرة

لاكساب هدنة السلام شيئا من الرهبة • فكانت اذا سئمت بلدتان أو عشيرتان من العشائر القتال الدائر بينهما ، فانهمـا كانتا ترسـلان رسولا الى بلدة « كى » القديمة التى تقع بالقرب من الساحل ، شرق نهر « سومبريرو » ، حيث يعيش كاهن فيتيشى أو « جوجو » يدعى « كى — نى أوبورسو » • وفى مثل هذه الظروف يدعى الكاهن الفتيشى ليحضر اليهم ليشرف على التصديق على المعاهدة السليمة بين المتحاربين • ومن ثم فان هذا الكاهن كان يحضر فى قـاربه المغطى بفروع صغيرة من أشجار النخيل ، ويتفق مع المتخاصـمين على يوم يعقـدون فيه العهد فيما بينهم • فاذا حان اليوم المحدد ، فان المتخاصمين يجتمعون كما يحضر أهالى بلدة « كى » ومعهم الاشياء اللازمة لتقديم الضحية التى تتكون من شاة وقطعة من القماش الاسود أو الازرق ، وقدر من البـارود ، وحشائش أو بذور الخشـائش • ويقسم المتخاصمون فوق هذه الاشياء على السلام والمودة • ثم يقول الكاهن : « اليوم ، نحـن أهالى « كى » نجلب السلام لبلدكم • ومن الآن فصاعدا لن يفكر أحد من المتخاصمين فى اساءة الطرف الاخر » • ثم يأتى بالشاة ويشطرها شطرين ويقول : « فاذا شنت احدى البلدتين الحرب مرة أخرى على البلدة الاخرى ، فلتنشق أجسام أفرادها كما انشق جسد هذه الشاة » ثم يرفع قطعة القمـاش ذات اللون الداكن ويقـول : « وليعم بلدة المسيئين ظلام حالك مثل حلكة هذه القطعة من القماش » • ثم يشعل النار فى البارود ويقول : « وكما يحترق هذا البارود فلتحترق بلدة المذنبين » • ثم يحمل فى النهاية الحشائش ويقول : « ولتغط الحشائش بلد من يشن الحرب مرة أخرى » • وقد كان هناك قانون « كالابارى » قديم يمنع أى بلد من أن تشعل الحرب على قرية « كى » ، لما تقدمه هذه القرية من خدمات فى سبيل اقرار السلام • واذا حدث أن أشعلت بلدة الحرب عليها فانها تقع تحت طائلة النفى ، أو تحت طائلة العقاب الجماعى من جميع أفراد القبيلة • ونلاحظ أن هـذه الطقوس الكالابارية تكشف فى غير غموض عن القصد الجزائى من وراء شطر الشاة الى

شطرين • كما يؤيد هذا تلك اللعنات التى تصحب الشعائر الرمزية الاخرى •

ومثل هذا التفسير ينطبق على الطقس المشابه لهذا الذى تؤديه قبيلة « ناجا » ، كما تؤيده الصيغ المختلفة لحلف اليمين الذى يعد أنسب تفسير له هو الجزاء الذى يلحق الحانث باليمين • ويمكننا أن ندعم نظرية الجزاء بشواهد مستقاة من العصر الكلاسيكى القديم • « فعندما قام الرومانيون والألبانيون بعقد معاهدة فيما بينهما وهى أقدم معاهدة مدونة فيما يقول « ليفى » ، تضرع ممثل عن الشعب الرومانى الى الاله « جوبيتر » قائلا : « اذا نقض الشعب الرومانى المعاهدة عن عمد ، فلتلحق بهم الضربات عند ذاك أيها الاله « جوبيتر » ، كما أضرب هذا الخنزير البرى اليوم » • وبعد أن قال هذا ، هوى على الخنزير وذبحه بالسكين • ثم اننا نقرأ فى أعمال « هومير » ، أنه عندما عقد الاغريق والطرواديون هدنة فيما بينهما ، ذبحت الاغنام وسكب أغاممنون عليها قربان الخمر وهى تلفظ أنفاسها الاخيرة ، بينما كان الاغريق والطرواديون يدعون على من يحنث باليمين أن تهشم رأسه ويسيل مخه كما تسيل الخمر على الارض •

ويتضح هذا المغزى الجزائى من تقديم الضحية فى مثل هذه الاحوال كل الوضوح من خلال مخطوط أشورى دون فيه القسم المقدس الذى أعلن فيه « ماتو ــ ايلو » أمير « بيت ــ أجوزى » ولاءه « لأشور ــ نيرارى » ملك آشور • وها هو ذا بعض مارون فى هذا المخطوط : « ان هذا الكبش لم يؤخذ من القطيع بقصد تقديمه ضحية ولا من أجل الالهة المسالمة « عشتروت » ، كما أنه لم يجلب من أجل مرض أو لمجرد أن يذبح وانما احضر لكى يقسم « مانع ــ أيلول » على ولائه « لآشور ــ نيرارى » ملك « أشور » • فاذا حنث « مانع ــ ايلو » بيمينه ، فان مصيره سيكون كمصير هذا الكبش • فكما أن هذا الكبش قد أبعد عن قطيعه ولن يعود اليه مرة أخرى ليسيطر عليه ،

فان « ماتع ــ ايلو » سيؤتى به كذلك من بلده مع أبنائه وبناته وبنى قومه ، ولن يعود اليهم مرة أخرى ليتزعم قومه • فهذه الرأس ليست رأس كبش ، وانما هى رأس « ماتع ــ ايلو » ورأس أولاده ونبلاء قومه . ورأس شعبه بأسره ، فاذا قطع « ماتع ــ ايلو » عهده كما تقطع رأس هذا الكبش ، فان رأس « ماتع ــ أيلو » ستقطع بالمثل • وهذه الرجل اليمنى ليست رجل الكبش اليمنى ، ، وانما هى يد « ماتع ــ ايلو » اليمنى ، ويد أولاده ونبلاء قومه وشعبه • فاذا قطع « ماتع ــ أيلو » العهد كما تقطع رجل ذلك الكبش ، فان يده اليمنى ستقطع ، وكذلك أيدى أولاده ونبلاء رجال بلده » • ثم يلى هذا فجوة كبيرة فى المخطوط • ونحن نحدس بأن مكان هذه الفجوة كان وصفا لاعضاء الكبش الأخرى ، واستمرارا فى التعليق على أنه كلما قطع عضو من أعضائه ، فانه لن يكون سوى رمز لقطع العضو المماثل له عند « ماتع ــ ايلو » وأولاده ونبلاء بلده وقومه ، اذا ما اثبتوا خيانتهم لسيدهم الموالين له وهو ملك « آشور » •

ومثل هذه التضحيات التى تصحبها وتفسرها دعوات بالشر شبيهة بالدعوات السابقة ، تصادفنا فى طقوس الشعوب البدائية التى ما تزال تعيش حتى اليوم • فطريقة عقد العهد أو حلف اليمين فى جزيرة « نياس » ، هى أن تجز رقبة خنزير صغير رضيع ، بينما يدعو الشخص على نفسه بمثل هذه القتلة اذا ما نقض العهد أو حنث باليمين • والطريقة التى تتبع فى جزيرة « تيمور » لتقديم بينة على الحلف باليمين هى : أن يمسك الشاهد بدجاجة فى يد ، وفى اليد الاخرى بالسيف ويدعو قائلا : « الهى فى السماوات والارض ، انظر الى ، ان كنت أشهد شهادة زور تؤذى قومى ، فلتلحق بى العذاب • اننى أؤدى اليمين فى هذا اليوم ، فاذا لم أكن صادقا فى شهادتى ، فلتقطع رأسى كما تقطع رأس هذه الدجاجة » • فاذا فرغ من دعائه هذا فانه يهوى على رأس الدجاجة ويقطعها على كتلة من الخشب • وعندما يجتمع زعماء « الباتاكيون » فى « سومطرة » ليعقدوا صلحا أو عهدا مقدسا

فيما بينهم ، فانهم يأتون بخنزير أو بقرة ويقف الزعمـاء من حول الحيوان وفى يد كل منم رمح • ثم تقرع الطبول ، ويقطع أكبر الزعماء سنا وأكثرهم هيبة، رقبة الحيوان بسكين • ثم يبقر الحيوان وينزع من جوفه قلبه وهو مازال ينبض ، ويقطع الى قطع صغيرة بعدد الزعماء ثم يرشق كل زعيم نصيبه من القلب فى سيخ ، ويشويه أو يدفئه على النار وهو يقول : « اذا حدث حنثت بيمينى ، فلأقتل كما قتل هـــذا الحيوان المسجى أمامى وهو يدمى ، وليلتهم لحمى كما يلتهم قلبـه الآن »• ثم يأكل قطعة اللحم أثر ذلك • وبعد أن يفرغ الرؤساء من تأدية هذه الطقوس يوزع لحم الحيوان الذى مازال مضرجا بالدم بين الناس ليحيـون به وليمـة •

واذا شاءت قبيلتـــان من « الشينين » الذين يسكنون التلال التى تشرف على حدود « أسام » و « بورما » ، أن تحلفـا اليمين أو تعقدا أواصر الصداقة فيما بينهما • فانهما تتقابلان ويحضران معا ثورا أليفا • ثم يصب شيوخ كل قرية عليه الخمـر ، ويسرون الى أرواحهم المقدسة بكلمات لكى تشهد على هذا الاتفاق • ثم يمسـك زعماء كل طرف برمح ، ويقفان على جانبى الثور ، ويصوبان الرماح الى قلبـه • فاذا استخدمت البنـادق بدلا من الرماح فان الطرفين يطلقان النار فى رأس الثور أو فى قلبه فى آن واحد • وبعد أن يسقط الثور طريحا تقطع رقبته ، ويجمع دمه المسكوب فى وعاء • ثم يقطع ذيله ويغمس فى الدم ، كما يغمس زعماء الطرفين وشيوخهم أيديهـم فى دمه ويلطخكل منهم وجه الآخر ،فى الوقت الذى يتمتم فيه حكماؤهم بالكلمات الاتيـة : « ليمت من ينقض هذا العهد ميتة هذا الحيـوان وليدفن جسده خارج القرية ، ولا تهدأ روحه أبدا • ولتمت أسرة كل من ينقض العهد . وليلحق بها كل حظ عثر » •

وعندما كان يرغب « الكاريون » سكان « بورما » فى عقد حلف سلمى مع أعدائهم فى الزمن القديم ، كان يجتمـع ممثلو كل جانب

ويتصرفون على النحو التالى : تمزج برادة سيف ورمح وبارود وحجر فى فنجان به ماء ، ويضاف اليه دم كلب وخنزير ودجاجة تذبح جميعا لهذا الغرض • ويسمى هذا المزيج من الدم والماء والبرادة « بماء السلام »• ثم تشطر جمجمة الكلب الى شطرين . ويأخذ ممثل الطرف الاول فك الحيوان السفلى ويعلقه بخيط حول الرقبة ، بينما يأخذ ممثل الطرف الثانى الجمجمة بما فيها الفك العلوى ويعلقها كذلك حول رقبته • ثم يعد الممثلان فى صرامة أن قومهما سيعيشون بعد ذلك فى سلام بعضهم مع بعض • ولكى يؤكدا هذا الوعد ، فانهما يتناولان جرعة من « ماء السلام » ويقولون « الان قد عقدنا عهد السلام • فاذا نقض شخص هذا العهد ولم يكن صادقا فيه فيتسبب فى أشعال نار الحرب مرة أخرى ، واثاره البغضاء . فليشق الرمح صدره ؛ وليفتت البارود أمعاؤه ؛ وليشج السيف رأسه ؛ وليلتهمه الكلب والخنزير وليحطمه الحجر » • ونلاحظ هنا أن هؤلاء الناس يفترضون أن السيف والرمح والبارود والحجر ، وبالمثل الكلب والخنزير المذبوحين ، تعين جميعا على الانتقام ممن يحنث باليمين . ذلك بعد أن شرب ممثلا الطرفين جرعة من مزيج « ماء السلام » •

وترجع قدرة الضحية على الجزاء فى كل هذه الامثلة بدون شك الى الدعوات التى تصحب ذبح الحيوان : فذبح الحيوان يرمز الى ذبح الحانث باليمين . أو هو بالاحرى جزء من سحر تقليدى يقصد به الحاق الموت بالمذنب جزاء جريرته •

على أننا يمكننا أن نتساءل بعد ذلك عما اذا كانت فكرة الوظيفة الجزائية لتقديم الضحية تكفى لتفسير الملامح البارزة فى الطقس العبرى والاغريقى الذى يتمثل فى المرور بين أجزاء الحيوان المذبوح أو الوقوف فوقها • وهنا رأى « و • روبرتسون » أن نفسر هذا الطقس بما يمكن أن نسميه نظرية التطهير أو السر المقدس • فقد افترض أن « مرور الجانبين بين أجزاء الحيوان المذبوح يرمز الى انتمائهم الى

حياة الحيوان الروحية » ولكى يؤكد روبرتسون وجهة نظره ، أشار الى استخدام هذا الطقس نفسه فى حالات أخرى لا يصلح قانون العقاب أو الجزاء . فيما يبدو . تفسيرا لها ، فى الوقت الذى يفسر بعضها على الاقل بنظرية التطهير الشعائرى • فمن أشكال التطهير الشائعة فى « بويوتيا » ؛ أن يذبح كلب ويشق شقين يمر الناس بينهما ومثل هذه الشعيرة كان يؤديها الجيش المقدونى • اذ كان يذبح كلب ويشطر شطرين • ثم يوضع راسه والجزء الامامى منه جهة الشمال ؛ بينما توضع أمعاؤه وجزؤه الخلفى جهة اليمين ، وبين هذين الجزئين تمر جماعات الجيش • ومن المألوف فى نهاية الاحتفال أن ينقسم الجيش الى قسمين يتشابكان معا فى حرب صورية • وقد قيل : أنه عندما أغار « بيليوس » على « أيلوكس » ونهبها ، قتل زوجة الملك وتسمى « أستى داميا » ، وقطعها أربا ، وجعل جيشه يمر بين أجزاء جثتها وهو فى طريقه الى المدينة • ومن المحتمل أن هذا الاجراء كان ينظر اليه بوصفه شكلا من أشكال التطهير الذى يضفى عليه الانسان الضحية درجة كبيرة من الرهبة • ويؤكد هذا التفسير ، تلك الطقوس التى يتبعها الالبانيون فى القوقاز فى معبد القمر • فهؤلاء قد تعودوا أن يضحوا بعبد مقدس بين الحين والاخر ، بأن يطعنوه برمح • ثم يحمل جسد هذا العبد الى مكان معين حيث تدوسه الاقدام كاجراء تطهيرى • أما اجراء التطهير بين « الباسوطويين » فى افريقا الجنوبية فيجرى على النحو التالى : يذبح حيوان ويصنع فيه تجويف ويطلب من الشخص الذى يراد تطهيره أن يمر فيه • وقد سبق أن رأينا قبيلة « بارولونج » تؤدى نفس الشعيرة عندما تعقد عهدا ، فالمتعاهدون يمرون خلال تجويف يحدثونه فى معدة الحيوان المقتول • فهذه العادات التى تتبع فى افريقيا الجنوبية تؤكد معا أن المرور بين أجزاء الحيوان الضحية يعد بديلا للمرور خلال تجويف يحدث خلال جسد الحيوان نفسه •

والتفسير التطهيرى أو بالاحرى الوقائى لمثل هذه الطقوس ، يؤكده عادات عرب موآب الذين لا يزالون يقومون بمثل هذه الشعائر

فى أوقات الكوارث التى تلم بهم مثل القحط أو الوباء • وهم يقولون : ان المقصود من هذه الشعائر هو تخليص الناس من الشر الذى يتهددهم • فاذا كانت القبيلة تعانى من وباء الكوليرا على سبيل المثال ، فان الشيخ يقف وسط خيمته ويهتف قائلا : « افتدوا أنفسكم أيها الناس ، افتدوا أنفسكم » • عندئذ تأخذ كل أسرة شاة وتضحى بها ثم تشطرها شطرين تعلقهما أسفل الخيمة ، أو على عمودين أمام الخيمة • ثم يمر أعضاء الاسرة جميعا بين شطرى الضحية ، اما الابناء الصغار الذين لا يقدرون على المشى ، فيحملهم أبواهم • وفى كثير من الاحيان يمر أفراد الاسرة أكثر من مرة بين جزئى الشاة الدامين اعتقادا منهم أن شطرى الضحية ، لهما القدرة على طرد الارواح الشريرة ، أو طرد الجن الذى يمكن أن يؤذى القبيلة • وهم يستعينون بمثل هذا العلاج فى مواسم القحط عندما تذبل الاعشاب وتموت الماشية بسبب قلة مياه الامطار • وتعد الضحية فدية للانسان والحيوان معا • ويقول هؤلاء العرب فى هذه المناسبة : « هذه فديتنا لنا ولمواشينا » • وعندما سئلوا عن الوسيلة التى تؤثر بها هذه الشعائر مثل هذا التأثير المجدى ، أجابوا بأن الضحية تقابل الكارثة وتقاتلها • فالوباء والقحط أو أيا كانت الكارثة ينظر اليها بوصفها ريحا تهب على السهول وتحصد أمامها كل ما تصادفه • حتى تقابل الضحية التى تعترض طريقا كالأسد الرابض • وعند ذاك ينشأ صراع مفزع بينهما ، يقهر على أثره الوباء أو القحط ويرجع أدراجه مخذولا ، بينما تظل الضحية المنتصرة مسيطرة على الحقل • وهنا نلاحظ أنه ليست هناك ثمة تفكير فى الجزاء ، اذ ليس من المعقول ، لا من قبل التفسير الرمزى أو السحرى ، أن موت الشاة يتسبب فى موت الناس الذين يمرون بين أجزائها ، بل أن الناس يعتقدون على عكس هذا ، أن الضحية تحميهم من الشر الذى يتهدد حياتهم بشكل أو بآخر •

ومثل هذه العادة تماما تتبع فى ظروف متشابهة عند « التشينيين » الذين يسكنون البلد الذى يكثر فيه التلال ويقع على حدود « أسام

وبورما » • فاذا اعتقد شخص من بين هؤلاء القوم ، أن شخصا تتعقبه روح ثائر ، مثل روح مرض الكوليرا ، فانه من المألوف عندهم أن يذبح كلب ويشطر دون أن تنتزع أمعاؤه ، ويترك النصف الأمامى منه على جانب من الطريق والنصف الخلفى على الجانب الآخر منه . ويصلون بينهما بأمعاء الكلب التى يمدونها عبر الطريق • وهم يفعلون هذا بقصد اسكان غضب الروح الثائر واثنائه عن عزمه فى اقتفاء أثرهم » وهكذا يحرص « الشينيون » على تشخيص وباء الكوليرا بوصفه روحا خطيرا ، الى درجة أنه اذا قامت جماعة منهم بزيارة منطقة « رانجون » وقت انتشار الوباء ،فانهم يحملون سيوفهممشهرة أينما ساروا ليدرأوا عنهم الشيطان ، كما يقضون وقتهم مختبئين بين الأحراش حتى لا يعثر عليم الشيطان • وقد تعود « الكورياكيون » الذين يسكنون سيبيريا الشمالية الشرقية، أن يصرفوا الأوبئة والطاعون عنهم على هذا النحو• فهم يذبحون كلبا ويربطون الأمعاء حول عمودين ويمرون تحتها • ومما لا شك فيه أنهم يعتقدون بالمثل أنهم بهذه السيلة يطردون روح المرض الذى يجد فىأمعاء الكلب حاجزا لا يقهر •ويسود الاعتقاد فى أن النساء بعد الولادة يكن نجسات ، ومن ثم يكن عرضة لأن تتملكهن الكائنات الشريرة المهولة • فاذا تركت المرأة عند غجر ترانسلفانيا فراشها بعد الولادة ، فانه يتحتم عليها أن تمر بين شطرى ديك مذبوح اذا كان المولود ذكرا ، أما اذا كان المولود أنثى فانها تمر بين شطرى دجاجة • ثم يأكل الرجال هذا الديك فيما بعد ، ، كما تاكل النساء الدجاجة •

ويتضح من هذه الأمثلة أن المرور بين أجزاء الحيوان المذبوح يقصد به الوقاية لا العقاب • كما أن لحم الضحية ودمها تشكل عقبة فى طريق القوى الشريرة، وفقا لتصور هؤلاء الناس، ومن ثم فهم يحولون بينها وبين اقتفاء أثر الشخص الذى مر خلال الطريق الضيق ، وبالتالى فهو لا يتعرض لايذائها • وبناء على ذلك فان هذه الشعائر يمكن أن تسمى بشعائر التطهير بأوسع معانىالكلمة ، اذ أنه يقصد بها تطهير الشخص أو تخليصه من تأثير القوى الشريرة •

فاذا عدنا من حيث بدأنا ، فانه يحق لنا أن نتساءل عما اذا كانت الوسيلة التى كان يتبعها العبريون القدماء عند عقد عهد بين طرفين ، عن طريق المرور بين أجزاء الضحية ، يقصد بها العقاب أو التطهير • وبتعبير آخر هل كانت تعد وسيلة رمزية لاحلال الموت بالحانث باليمين ، أم كانت وسيلة سحرية لوقاية المتعاهدين من تأثير القوى الشريرة ، ومن ثم فهى تحميهم من أخطار بعينها يمكن أن يتعرضوا لها ؟ ان الأمثلة الأخرى التى سبق أن ذكرتها عن مرور الأشخاص بين أجزاء الضحية المذبوحة ، تبدو وكأنها تدعم التفسير التطهيرى أو الوقائى للطقس العبرى ، اذ بينما لا يتطلب مثال من هذه الأمثلة التفسير الجزائى ، فان بعضها يستبعده صراحة • ومن ناحية أخرى نجد أن بعض هذه الأمثلة لا يفسر الا على أساس نظرية التطهير أو الوقاية التى تدعيها فى الحقيقة بعض الشعوب مثل العرب « والتشينيين » صراحة ، هؤلاء الذين يتبعون هذه العادة • حقا أن أية محاولة لتفسير هذه الشعيرة العبرية لا بد أن يراعى فيها تفسير الشعيرة المماثلة لها عند العرب المحدثين ، نظرا لتشابه شعائرهما فى الشكل • كما أن هذين الشعبين اللذين يقومان بتأدية هذه الشعيرة أو كانا يقومان بتأديتها ، ينتميان الى أسرة سامية واحدة ، ويتحدثان لغتين ساميتين متقاربتين ويقيمان فى البلد نفسه ، حيث أن أرض موآب التى مازال العرب يتبعون فيها هذه العادة القديمة ، كانت تكون جزءا من موطن بنى اسرائيل حيث رحل ابراهيم وعقد عهدا مع الرب على نحو ما ذكرناه (١) • ويبدو أن هذا الاستدلال حتمى ، وهو أن هذه الشعيرة التى اتبعها العبريون القدماء والتى مازال يتبعها الموآبيون ، ترجع الى أصل سامى وما يزال هدفها التطهيرى أو الوقائى واضح فى أذهان عرب موآب •

على أنه لا يزال هناك سؤال ينبغى أن نتساءل عنه وهو : فيم

---

(١) يعنى فريزر ما يفهم من اساطير العبريين التى روجوها بينهم وتناقلوها ثم دونوها فى العهد القديم ، ولا يبدو انه يريد بذلك التقرير التاريخى .

تتمثل القدرة على التطهير فى مثل هذه العملية ؟ ولماذا يعتقد أن المرور بين أجزاء الحيوان المذبوح من شأنه أن يحمى الانسان من الخطر ؟ أما رد « روبرتسون سميث » عن هذه التساؤلات فيتلخص فيما يمكن أن يسمى بتفسير السر المقدس لهذه العادة • فهو يفترض أن الذين يمرون بين أجزاء الضحية أو يقفون فوقها يتحدون مع الحيوان ومع بعضهم بعضا فى رابطة الدم ، أى أنه يعتقد فى الحقيقة أن مثل هذا العهد ليس الذى يخلق المتعاهدون عن طريقه ، بطريقة صورية ، رباطا من القرابة العصبية فيما بينهم ، وذلك بأن يمزجوا حقا قدرا من دمائهم بعضها ببعض • والاختلاف المادى الوحيد بين شكلى هذا العهد ، بناء على هذا الفرض ، هو أن دم الحيوان فى أحد الشكلين يعد بديلا لدم المتعاهدين أنفسهم فى الشكل الآخر • على أن هناك كثيرا من الجدل يمكن أن يثار حول هذه النظرية • وأولى نقاط هذا الجدل ، هو أن الشواهد فى أفريقيا الجنوبية تشير الى النتيجة التى مؤداها أن المرور بين أجزاء الضحية ليس سوى بديل للمرور خلال جسد الحيوان المذبوح • ويؤيد هذه النتيجة أن « الشينيين » عندما يذبحون الكلب الضحية لا يفصلون شطرى الكلب أحدهما عن الآخر كلية ، وانما يحتفظون بالنصف الأمامى والنصف الخلفى متصلين عن طريق حبل أمعاء الحيوان الذى يمر تحته الناس • ويبدو أن «الكورياكيون» كانوا يتبعون هذه العادة ، وان تكن بطريقة أقل وضوحا من طريقة « الشينيين » • فالابقاء على حبل الأمعاء بوصفه رابطا بين شطرى الضحية يبدو بوضوح أنه محاولة للربط نظريا بين وحدة الحيوان المقتول وبين الملاءمة العملية بشطره ، حتى يتسنى للناس أن يمروا خلال جسده • والا فما معنى أن يوضع الناس داخل جسد الحيوان ما لم يكن الغرض من ذلك اكساب الشخص بعض خصائص الحيوان التى يعتقد أنه يمتلكها ، والتى يمكن ــ وفقا لتصور هذه الشعوب ــ أن تنتقل الى الشخص الذى يطابق بين نفسه فيزيائيا وبين الحيوان عن طريق الدخول فيه حقيقة ؟ •

ومما يؤكد أن هذه الفكرة حقا هى أساس هذه الشعيرة ، تلك

العادة المشابهة المنتشرة بين الهنود « الباتاجونيانيين » • ففى بعض الحالات اذا ولد لهؤلاء طفل ، تذبح بقرة أو فرس وتنتزع منه معدته ثم تبقر ويوضع بداخلها الطفل وهى ما تزال دافئة • ثم تقيم القبيلة وليمة على سائر أجزاء الحيوان •

على أن الأشكال الأخرى لشعائر هذا الميلاد ، ما تزال أكثر همجية • فاذا ولد للأب طفل ذكر ، فان قبيلته تأتى بفرس أو مهر حسبما يتفق وحالة الوالد المادية ، فان كان غنيا مرموقا بين قومه ، أحضرت له القبيلة فرسا ، وان لم يكن كذلك أحضرت له مهرا • ثم يربط وهق (١) حول كل رجل من أرجل الحيوان ، ورباط حول رقبته ، ورباط آخر حول جسمه • ثم ينتشر أفراد القبيلة حول أطراف هذه الأحبال ويمسكون بها ، وبذلك لا يتمكن الحيوان من السقوط • ثم يتقدم والد الطفل ويشق الفرس أو المهر من رقبته الى أسفل • ثم ينتزع قلب الحيوان وغير ذلك من الأجزاء ويوضع الطفل فى تجويفها • والغرض من هذا الفعل هو وضع الطفل فى تجويف الحيوان وهو مازال ينتفض ، اعتقادا منهم أن الطفل سيصبح بكل تأكيد فى المستقبل فارسا ماهرا» •• وهنا تتمثل لنا بوضوح هذه العادة والسبب الذى يعزى لاتباعها • فاذا شئت أن يكون طفلك فارسا ماهرا ، كما يجادل هؤلاء الهنود ، فان أفضل وسيلة لذلك هى الربط بينه وبين الحصان عند ولادته ، وذلك بأن يوضع داخل تجويف فرس أو مهر وهو مازال على قيد الحياة • فاذا وضع الطفل على هذا النحو بين لحم الحيوان ودمه ، فانه يصبح شبيها به جسديا ، ويصبح له مقعد صيد القنطور (٢) الذى يتكون جسمه من جسم انسان وجسم فرس معا • وباختصار فان وضع الطفل داخل تجويف الفرس أو المهر ليس سوى صورة من صور المشاركة الذى يقصد به اكساب الانسان صفات خاصة •

---

(١) حبل فى طرفه انشوطة يستعمل لاقتناص الخيل والابقار .
(٢) كائن خرافى .

ويمكننا أن نفسر وفقا لهذا الأساس ــ كما أشار روبرتسون سميث الى ذلك ــ الشعيرة « السكيثيانية » عند عقد عهد ؛ عندما يدوس أفراد القبيلة بأقدامهم على جلد ثور مذبوح • فكل الذين يدوسون بأقدامهم اليمنى على جلد الثور يصبحون هم والحيوان شيئا واحدا ؛ بحيث تربط بينهم رابطة الدم التى تؤكد اخلاصهم لبعضهم بعضا • اذ من المحتمل أن الدوس بقدم واحدة على جلد الثور يعد شكلا مختصرا للف الشخص بالجلد لفا كليا ؛ تماما كما تعود المتعبد فى محراب الآلهة السورية فى « هيرابوليس » ، أن يجثو على جلد الشاة التى قدمها ضحية للآلهة . ويسحب رأسها وأرجلها فوق رأسه وكتفيه ويصلى للآلهة وهو فى هيئة الشاة ، لكى تقبل الشاة التى قدمها ضحية لها •

وهذا التفسير الذى قدمه « روبرتسون سميث » لتلك العادة تؤكده كل التأكيد عادة أفريقية مماثلة لها • فمن عادة صبية قبيلة « واتشاجا » فى « أفريقيا الشرقية أن يهيئوا بعد عامين من ختانهم لما يمكن أن يسمى بالتعميد الحربى • ومن أجل هذا الغرض يجتمع الصبية مع آبائهم وشيوخ قرية زعيمهم . ويقومون بذبح ثورين ونعجتين وتجمع دماؤها فى جلد ثور يحمله عدة رجال • ثم يعرى الصبية أنفسهم ويطوفون وهم واقفون فى صف طويل أربع مرات حول جلد الثور المتلىء بالدم • ثم يصطفون بعد ذلك ويمر عليهم شيخ ويحدث قطعا فى أسفل أكمامهم • ثم يخطو كل صبى الى الجلد الممتلىء بالدم ويخز ذراعه حتى تسقط قطرات من دمه فوق دم الحيوان، ثم يملأ يده بهذا الدم الممتزج بدمه ويشربه ؛ ويرتدى ملابسه بعد ذلك • ثم يجلس الصبية القرفصاء حول زعيمهم • وبعد حديث طويل معه يسمى كل والد ابنه باسم حربى• فان لم يكن للصبى والد ، فانه يتسلم لقبه من شيخ كهل يقوم بدور الأب • ثم يخطب فيهم الزعيم معلنا أنهم لم يعودوا بعد أطفالا ، وانما أصبحوا جنودا ، ثم يرشدهم الى تبعاتهم الجديدة ؛ كما يقدم لهم جميعا لافتة لدروعهم تبرزهم أنهم قد أصبحوا ينتمون الى جماعة واحدة بعينها • وهنا نلاحظ أن الصبية الذين أصبحوا محاربين فى جماعة

واحدة ، قد ارتبطوا جميعا برباط مزدوج من الدم هو عبارة عن دمهم ودم الحيوان المقتول ، اللذين مزجا فى جلد الثور ، ثم شرب كل منهم من هذا الدم المختلط نخب فروسيته المستقبلة • وليس هناك مثال يشير بوضوح أبعد من هذا الى صحة وجهة نظر « روبرتسون سميث » ؛ من حيث أن الغرض من استخدام جلد الثور فى الطقس « السيكثيانى » هو كذلك ربط المحاربين برباط دموى واحد •

وربما مكنتنا مناقشتنا هذه لعهد ابراهيم ؛ من القاء الضوء حول نقطة مظلمة فى تاريخ الكنعانيين • فمنذ اكتشف الأستاذ « ستيوارت ماكاليستر » فى حفرياته فى « جيزر » فى فلسطين مكانا للدفن يستلفت النظر • وهذا المكان هو ببساطة حجرة اسطوانية يبلغ ارتفاعها عشرين قدما ، واتساعها خمسة عشر قدما • وقد نحتت هذه الحجرة فى الصخر وترك مدخلها فى قمتها على هيئة فتحة دائرية • ويبدو أن هذه الحجرة كانت فى الأصل مخزنا للمياه قبل أن تتحول الى مدفن • وقد عثر فى أرض تلك الحجرة على خمسة عشر هيكلا آدميا ، أو بالأحرى أربعة عشر هيكلا ونصف هيكل • ذلك أنه لم يعثر لهيكل من هذه الهياكل سوى على جزئه العلوى ، فى حين لم يعثر على جزئه السفلى • وهذا الهيكل لفتاة تبلغ الرابعة عشرة من عمرها ، وقد قطع جسدها أو نشر من الوسط عند الفقرة الثامنة من عمودها الفقرى عند التجويف الصدرى • وحيث أن الأجزاء الأمامية من الضلوع قد هشمت عند هذا المستوى، فانه من الواضح أن هذا التهشيم قد تم فى مرحلة كانت العظام تستند فيها على الأجزاء الرخوة من الجسم • وأما سائر الهياكل فهى هياكل رجال ، اثنان منها لشابين يبلغان من العمر الثامنة عشرة أو ربما التاسعة عشرة والباقى لرجال كاملى النمو معتدلى القوام ، قويى البنية • ويدل وضع الهياكل على أن أصحابها لم يطرحوا فى الحجرة من خلال فتحتها العلوية ، وانما هبط بهم رجال الى داخل الحجرة • كما أنه يعتقد أن كميات الفحم الكبيرة التى عثر عليها بين العظام تدل على أن حفلا جنائزيا أو تضحية أو أى طقس مقدس آخر قد أدى داخل حجرة الدفن • كما نظر علماء الآثار

الى بعض الأسلحة البرنزية الدقيقة، مثل رءوس الرماح وفأس وسكين، تلك التى عثر عليها بجانب الجثث ، بوصفها شاهدا أن هذا الدفن قد حدث قبل ظهور بنى اسرائيل ، أى أن أصحاب هذه الهياكل كانوا ينتمون الى عنصر سبق ظهور العبريين فى فلسطين • كما استدل العلماء من شكل عظام هذه الهياكل وتجاويف الجماجم الواسعة ، ومن أنوفهم المقوسة ، وبعض الخصائص التشريحية الأخرى ، أن الذكور يمثلون نماذج لعنصر لا يختلف عن عرب فلسطين اليوم •

فاذا كان التشابه الجسدى بين هؤلاء الرجال القدماء وسكان فلسطين المعاصرين كافيا لأن يبرر لنا أن نعدهما أفرادا ينتمون الى أصل واحد ، فربما حق لنا أن ننتهى الى أن كليهما ينتمى الى الأصل الكنعانى الذى كان يستوطن فلسطين قبل غزو العبريين لها ، والذى لم ينجح العبريون قط فى ابادته على الرغم من محاولتهم اخضاعه لسطوتهم • فوجهة نظر الخبراء أن الفلاحين المعاصرين أو المزارعين الفلسطينيين الذين يتحدثون اللغة العربية ، انما هم سلالة القبائل الوثنية التى سكنت فلسطين قبل الغزو الاسرائيلى وارتبطوا بأرضهم منذ ذلك الوقت • وعلى الرغم من أن موجات الغزو المتعاقبة على فلسطين قد غمرتهم ، الا أنها لم تنجح فى القضاء عليهم • فاذا كان الأمر كذلك ، فانه يحق لنا أن نفترض أن الهيكل النصفى للفتاة الذى عثر عليه فى « جيزر » ، يعد أثرا باقيا لعادة التضحية بانسان ، تلك العادة التى لعبت دورا بارزا فى الديانة الكنعانية • ونحن نستدل على ذلك بالعادة المشابهة لها التى أشار اليها الأنبياء العبريون ، وكتاب العصور الكلاسيكية القديمة • وقد دعم هذا الافتراض ما عثر عليه من هياكل أطفال عثر عليها فى «جيزر» محفوظة فى جرار تحت أرض المعبد ، فقد اعتقد الباحثون فى العادة ، أن هذه المخلفات تشهد على عادة التضحية بالابن الأول تكريما للاله المحلى • وقد عثر على مزيد من هؤلاء الأطفال المدفونين فى جرار حول معبد منحوت فى الصخر فى بلدة « تعنك » فى فلسطين ، وقد فسر تحنيط هؤلاء الأطفال على النحو الذى أشرنا اليه •

ولكن اذا كان هيكل الفتاة الذى عثر عليـــه فى مقبرة « جيزر » ، يمثل حقا بقايا عادة التضحية بانسان فما زال علينا أن نتساءل : لماذا شق جسد الفتاة أو نشر على هذا النحو ؟ ان عهد ابراهيم الذى نقيس عليـــه وبالمثل الطقوس المتشابهة التى تحدثنا عنها ، تشير الى أن شطر الفتاة الضحية الى شطرين ربما كان يقصـــد به الوقاية الجماعيـــة ، أو التصديق على عهـــد • أو أننا نفترض ــ حتى تكون أكثر وضـــوحا من هـــذا ــ أن جسد البنت قد قطع الى نصفين وأن الناس مروا بين هذين النصفين ، اما بقصد تضليل قوى شريرة كانت تعيش بينهم أو تتهددهم أو بقصد تأكيد معاهدة سلمية تأكيدا يتسم بالرهبة • ولنبدأ الآن بالتفسير التطهيرى أو الوقائى •

لقد سبق أن رأينا أنه عندما استولى « بيليوس » على مدينـــة « أولكس » قيل : انه أسر زوجة ملك المدينة وقطعها الى نصفين وترك جيشه يمر بين هذين النصفين قبل أن يدخل المدينة • ولا يبدو أن هذه العادة المتوارثة من قبيل الاختراع الصرف ، فربما كانت بقايا عادة بربرية متخلفة كان يتبعها الظافرون عند دخول المدينة المندحرة . ونحن نعلم أن الانسان فى العصور الأولى كان يخشى كل الخشية من سحر الغرباء . وأنه كان يقوم باحتفالات عديدة لكى يحصن نفسه ضد هذا السحر . سواء عندما يسمح لغرباء أن يدخلوا بلدته ، أو عندما يخطو هو نفسه الى أرض قبيلة أخرى • وربما كان خوف مشابه لهذا من سحر الأعداء يدفع المنتصر أن يصطنع احتياطات غريبة بقصد حماية نفسه وجيشه من مكايدأعدائه ، وذلك قبل أن يجرؤ على دخول المدينة التى استولى عليها منهم بسيفه • وربما تمثل هذا الاحتياط الغريب فى أسر أسير . وشق جسده أو جسدها الى نصفين ، وجعل الجيش يمر بين النصفين وهو فى طريقه الى المدينة • ووفقا لتفســـير السر المقدس لهذا الطقس ، فان التأثير الذى يحدثه المرور بين جزئىالضحية من شأنه أن يخلق عهدا دمويا بين الظافرين والمنهزمين معا ، ومن ثم فهو يؤمن المنتصرين ضد كل المحاولات المعدائية من جانب المنهزم •

وهذا يفسر ما قام به « بيليوس » عند دخوله مدينة « أولكس » عندما أسر الملكة وشق جسدها الى شقين ، فقد كان هذا الاجراء وسيلة مقدسة لخلق وحدة بين الغزاة والمغزويين • فاذا كان هذا التفسير مقبولا . فانه يتبع هذا فيما يبدو . أن يكون هناك توافق بين وجهات نظر الطقوس التطهيرية أو الوقائية وطقس عقد العهد ؛ فالغزاة يطهرون أو يحمون أنفسهم من تأثير أعدائهم الشرير بالدخول ضمنا معهم فى عهد دموى •

ومن المحتمل أن عادة سامية مشابهة لهذه العادة يمكن أن تفسر هيكل الفتاة المشطور الذى عثر عليه فى « جيزر » • ونستطيع أن نحكم من خلال البقايا الآدمية التى عثر عليها فى هذا المكان ؛ أن المدينة احتلتها أجناس مختلفة من عصور مختلفة ؛ ففى العصور الاولى احتلها قوم قصار الجسم أقوياء البنية ، نحفاء ، ذوو رءوس بيضاوية ؛ لا ينتمون الى العائلة السامية ؛ بل انهم لا صلة لهم بأى جنس من أجناس البحر الابيض المتوسط • فاذا كان الكنعانيون قد غزوا هذه المدينة فيما بعد ، هؤلاء الذين استوطنوها فيما بعد ، فربما احتفلوا بدخولهم المدينة بأن أسروا الملكة أو أية امرأة أخرى وقتلوها وشقوا جسدها الى نصفين ومروا بينهما وهم فى طريقهم الى المدينة • ولكن كيف نفسر فى هذه الحالة عدم وجود النصف السفلى من جسد الفتاة ؟ اننا لسنا فى حاجة لأن نفترض ، كما افترض المستكشفون ، أن الغزاة الكانيباليين قد أحرقوه أو التهموه • وانما ربما دفن هذا الجزء فى مكان آخر ، ربما فى المكان المواجه لهذا المكان من البلد ، وذلك بقصد نشر مفعول سحر الضحية فى كل المساحة الواقعة بين المكانين ، حتى تصبح المدينة بأسرها آمنة بالنسبة للغزاة ويكونون فى الوقت نفسه فى مأمن من ضربات أعدائهم • وقد قيل ان ملكا قديما من ملوك بورما قد أكسب مدينته الحصانة ، بأن قطع جسد خائن الى أربعة أقسام ، ودفن كل جزء فى ركن من أركان المدينة • وعبثا حاول أخو الخائن أن يستولى بجيشه على المدينة • وقد ظل يحاول ضربها

دون جدوى ، حتى أخبرته أرملة القتيل أنه لن يتمكن من الاستيلاء على المدينة طالما كان جسد زوجها يحرس أسوارها • عند ذاك أخذ الأخ يحفر الأرض بحثا عن أشلاء أخيه حتى عثر عليها • بعد ذلك استسلمت المدينة دون مقاومة • وشبيه بهذا الطقس ما يتبعه « اللوشايين » فى « أشام » عندما تكون المرأة فى حالة الوضع • فلكى يخفف عنها أصدقاؤها آلام الوضع يأتون بدجاجة ويذبحونها ويشطرونها شطرين متساويين • أما الشطر الذى يحتوى على الرأس فيوضع عند الطرف الشمالى من المدينة مع سبعة عيدان من الخيزران توضع فى شكل حزم • وأما الجزء السفلى من الدجاجة فيوضع عند الطرف الجنوبى من القرية مع خمس حزم من الخيزران • وفضلا عن ذلك فان جرعة من الماء تقدم للمرأة لتشربها • ويطلق على هذه الشعائر اسم « أرتى ــ بومفيلنا » ، ومعناه : « فتح البطن بمساعدة دجاجة » ، لأنهم يعتقدون أن شطر الدجاجة الى شطرين يسهل عملية الولادة • على أنه لم يذكر شىء عن الوسيلة التى يحدث بها هذا الطقس هذا التأثير المفيد ، ولكننا نحدس أن الناس يعتقدون أن جزئى الدجاجة الموضوعين عند طرفى القرية يحرسان المساحة الواقعة بين المكانين من غزو القوى الشريرة ، وبخاصة تلك القوى الشيطانية التى حاولت دون ولادة الطفل •

وربما تأكد هدف التطهير أو الحماية من التضحية بالفتاة التى عثر عليها فى « جيزر » ، باكتشاف آخر تم فى المكان نفسه • فقد كشفت الحفريات المتأخرة فى هذا المكان عن نصف هيكل غلام فى السابعة عشرة من عمره • وقد شق جسد هذا الغلام كما حدث مع الفتاة ، من وسطه بين الضلوع وتجويف الحوض • ولم يعثر كما هو الحال مع الفتاة ، على الجزء السفلى من جسد الغلام • والى جانب الهيكل النصفى للغلام عثر على هيكلين كاملين لرجلين ، الى جانب مجموعة من الأوانى الفخارية وضعت فوق الهياكل ومن حولها • وقد

عثر على هذا الكشف تحت أساس بناء ؛ ان لم يكن أسفله مباشرة • ومن ثم فقد أشار الأستاذ « ستيوارت ماكاليستر » الى أن هـذه الهياكل هى بقايا جثث آدمية ضحى بأصحابها وفقا للعادة المنتشرة ، ودفنوا تحت أساس البناء لاكسابه قوة ومناعة أو لحمايته من الاعداء • وتتضح هذه العادة كل الايضاح من خلال نماذج مستمدة من بلاد متعددة ، بحيث أننا نرى أنه ليس ن الضرورى أن نسهب فى ايضاحها ، وانما سأكتفى بتقديم مثال واحد سجله شاهد عيان • وقد حرصت على تقديم هذا المثال لأنه يشير بوضوح الى سلسلة التفكير التى أدت الى رسوخ هذه لعادة • فقد عاش بحار انجليزى هارب منذ سبعين أو ثمانين عاما مضت ؛ طيلة عامين وحده بين « الفيجيانيين » الذين مازالوا متبربرين ملحدين • وقد خلف لنا هذا البحار حكاية تجاربه الساذجة وان كانت لا تخلو من قيمة • فبينما كان يقيم مع هؤلاء المتبربرين ، تصادف ان كان يبنى بيت الملك أو الزعيم المحلى • ثم أبصر « جاكسون » ذات يوم ، بينما كان يقف بالقرب من مكان البناء رجالا يساقون ويدفنون أحياء فى الجحور التى كان سيقام فيها أعمدة البيت • وقد حاول الأهالى أن يصرفوه عن رؤية هذا المنظر ، ولكنه أسرع الى أحد هذه الجحور ، حتى لا تتم عليه الخديعة ؛ فأبصر رجلا يقف فى الجحر ويداه تعانقان العمود ورأسه مازال بارزا من بين التراب • فلما سأل الاهالى عن سبب دفنهم لرجال أحياء عند أسفل الأعمدة ، أجابوه بأن البناء لا يصمد طويلا مالم يمسك الرجال بدعائمه على الدوام • فلما سألهم : وكيف يتسنى لهؤلاء الرجال أن يمسكوا دعائم البيت بعد أن يموتوا ، أجابوه : بأنه اذا ضحى الرجال بأرواحهم فى محاولة الامساك بالأعمدة فان فضيلة التضحية تحض الآلهة على المحافظة على سلامة البناء بعد أن يموت الرجال •

وهذا المجرى من التفكير يصلح تماما لأن يفسر وضع هيكل الذكرين اللذين عثر عليهما تحت أساس البناء فى « جيزر » ، ذلك أن أحد هذين الهيكلين قد عثر عليه وهو يمد يده الى آنية ، كما لو كان

يعين نفسه على تناول الطعام وبذلك يصبح قادراً على القيام بهـذا العمل الشاق وهو الامساك بالحائط • ولكنه ليس من اليسير على هذا النحو أن نفسر وجود نصف هيكل الغلام الذى عثر عليـه فى المكان نفسه ، ونصف هيكل الفتاة الذى عثر عليه فى المقبرة الاسطوانية • لانه اذا كان الشخص حقا مكلفا بحمل أساس البناء حتى لا يهوى ؛ فمن الطبيعى أن يختار لهذا العمل المضنى رجالا أشداد • ولكن كيف يقوم نصف جسد صبى ونصف جسد فتاة بهذا العمل ؛ وكيف يمكن للحائط أن يقف راسخا وهو يرتكز على صبية وفتيات ليس لديهم أرجل ؟ ومن ثم فان النظرية التى تقـول ان هؤلاء الضحايا قـد قتلوا وشقت أجسادهم الى نصفين بقصد تقديمهم ضحية لأساس البناء ، لا يمكن أن تكون مقنعـة •

والى هذا الحد ينتهى نقاشنا حول نظرية الوقاية أو التطهير فى تفسير وجود هذه الهياكل الغامضة التى عثر عليها فى « جيزر » •

ولننتقل الآن الى مناقشة نظرية العهد لنرى ما اذا كانت أكثر ملاءمة لهذه الحقائق • ووفقا لهذه النظرية أن الغلام والفتاة قد قتلا وشطر جسداهما الى شطرين ، لا بقصد تطهير البنـاء من الأرواح الشريرة أو حمايته منها ، وانما بقصد التصديق على عهد من العهود ، وذلك بأن يمر الطرفان المتعاهدان بين شطرى القتيل ، تماما كما كان العبريون يصدقون على العهد بأن يمروا بين شطرى العجل المذبوح• وربما أيدت الموازنة التالية وجهة النظر هذه • لقد سبق أن رأينـا قبيلة « الواتشاجا » التى تسكن أفريقيا الشرقية ، تخلع الرهبة على العهد أو هدنة السلام التى تعقد بين طرفين ، بأن يشطر جدى حى وحبل بضربة وحدة ويدعون فى الوقت نفسه على من يحنث باليمين بأن ينشق جسده الى نصفين كما انشق الجدى والحبل معا • ولكن قيل ان هذه القبيلة كانت تتبع وسيلة أخرى فى عقد الحلف ، وأن هـذه الوسيلة كانت تعتمد منذ العصور البالغة فى القـدم ؛ فهم يأخذون غلاما وفتاة ويطلب منهما أن يطوفا ثلاث رات أو سبع مرات حـول

المتعاهدين المجتمعين ، بينمـا تتلى دعوات اللعنة أو البركة لتحل تباعا على من يحنث باليمين أو يبقى عليه • ثم يشطر الغلام والفتـاة الى شطرين من الوسط ، وتدفن أجزاؤهما الاربعة عند حدود الحيين اللذين يسكنهما الطرفان المتعاهدان • ثم يسـير ممثلون من كلا الطرفين على قبر القتيلين ، ثم يتفرقون بعد ذلك عائدين الى بيوتهم • والفكرة فى هذه الشعائر ، فيما قيل لنا ، هى تلك اللعنة المتضمنة التى تحل بحانث اليمين ؛ فينشق جسده الى شقين كما حدث للغلام والفتاة ، وأن يموت دون أن يختلف وراءه ذرية كما حدث للغلام والفتاة كذلك • وقد قيـل انه لكى نفهم المغزى العميق لهذه اللعنة ، فمن الضرورى أن نعـرف ما تحتوى عليه ديانة « الوتشاجا » من عبادة أرواح الأجداد • فالرجل الذى يتوفى دون أن ينجب أبنـاء ، لن يترك وراءه من يقوم بتقـديم الضحية له التى تعـد الوسـيلة الوحيدة لاستقبال الأموات له استقبالا حسنا ، وتضـمن له تأييدهم على الدوام •

والرجـل الذى يموت دون أن يخلف وراءه ذريـة قد كتب عليه أن يعيش الى الأبد حياة الوحدة فى العـالم الآخر ، فلا يجـد من يلبى رغبته فى تناول قطعة من لحـم البقر يشـبع بها رمقـه ، أو جرعة من الجعة يروى بها ظمـأه ، ذلك أن الجعة ولحـم البقر ولحم الضـأن هى الأشياء التى ترغب الأرواح الراحلة فى تسلمها من أيدى أقربائهـم الأحياء •

فاذا كانت الموازنة بين طقـوس « الواتشاجا » والطقوس السامية تتفق فيما بينهمـا ، فانها تهيىء لنا أن نفهـم السبب فى شطر الضحايا التى عثر عليها فى « جيزر » وأن نفهـم لماذا كانت هذه الضحايا غلاما وفتاة وليسا رجلا وامرأة كاملى النمـو • فلسـنا فى حاجة سـوى أن أن نفترض أنهما قد قتـلا وشطرا الى شطرين بقصـد التصديق على عهد مقدس ، وأن الطرفين المتعاهدين قـد مرا بين شطريهما ، وأن كلا منهمـا قد أخذ نصف الغلام أو نصف الفتـاة وعاد به الى بلده كضمان

لصدق الآخر فى عهده ، تماما كما حمل كل طرف من الطرفين المتعاهدين فى قبيلة الواتشاجا على نصف الحبل كضمان لصدق الطرف الآخر فى عهده • واذا كنا قد أشرنا الى أنه قد عثر فى « جيزر » على نصفى الغلام والفتاة وأن كلا النصفين هو النصف العلوى من الجسدين ، فليس بمستبعد كلية أن المزيد من الحفريات المستقبلة فى فلسطين قد يكشف عن مصير الجزئين السفليين من جسديهما اللذين حملهما معه الطرف الآخر من الطرفين المتعاهدين الى بلده ودفنهما هناك • وأكثر من هذا فربما استطعنا أن ندرك الآن لماذا وقع الاختيار على الغلام وفتاة لكى يقدما ضحية ، ولم يقع على رجل وامرأة • واذا كانت الموازنة بين الشعائر العبرية وشعائر « الواتشاجا » تقوم على أساس سليم فان الهدف من وراء هذا الاختيار هو اللغة الضمنية ، فيموت من يحنث بالقسم دون أن يخلف وراءه ذرية ، كما مات الغلام والفتاة اللذان هم المتحالفون بين أجزاء جسديهما من قبل أن ينجب ذرية • واذا تذكرنا رغبة الساميين الملحة فى انجاب الأطفال ، استطعنا أن ندرك هول تلك اللعنة بالنسبة للمتعاهدين ، وبالتالى مدى حرصهم على الارتباط بالعهد •

وأخيرا ، فان من الجدير بالنظر ، أن الموازنة بين شعائر الواتشاجا عند عقد العهد بالشعائر العبرية التى تقام فى مثل هذه المناسبات سواء كانت الضحية التى تشطر الى شطرين هى جدى أو انسان ، فان هذه الموازنة من شأنها ان تدعم التفسير الجزائى فى الطقوس العبرية ، حيث أن المثانيين الذين أشرنا اليهم عند قبيلة « الواتشاجا » فهم منهم أن شطر الضحية الى شطرين يرمز الى مصير الحانث باليمين • ومع ذلك فمازال الباب مفتوحا لأن نفسر المرور بين أجزاء الضحية على نحو ما أشار اليه « روبرتسون سميث » ، أعنى أن هذا المرور يعد وسيلة للربط بين الأشخاص والضحية بقصد إكساب هؤلاء الاشخاص صفات خاصة يظن أن الضحية تمتلكها ، كما يظن أنها تنتقل الى هؤلاء الذين يدخلون فى رباط مع الحيوان ، إما عن طريق المرور خلال

أجزاء جسده أو بأى وسيلة أخرى كأن يلطخ الاشخاص أنفسهم بدمه ، أو يرتدى جزءا من جلده • وفى حالة عقد العهد ، فان الغرض من ربط المتعاهدين بالضحية هو التأكد فيما يبدو ، وذلك عن طريق السحر المتبادل ، أنه اذا حنث أى طرف من الطرفين المتعاهدين بيمينه ، فان مصيره سيكون كمصير الضحية ، فالسحر المتبادل اذن هو الذى يخلق بين المتعاهدين والضحية قوة تربطهم وتكون أكبر ضمان على تحقيقه •

وبناء على ذلك ، فاذا صح تحليلنا لعهد ابراهيم ، فان الشعيرة التى قام بها تتكون من عنصرين متميزين ، وان كانامتلازمين ، أما العنصر الأول فهو شطر الضحية الى شطرين ، وأما العنصر الثانى فهو مرور المتعاهدين بين أجزاء الضحية • والعنصر الأول يفسر بنظرية الجزاء ، وأما العنصر الثانى فيفسر بنظرية السر المقدس وكلتا النظريتين تكمل احداهما الاخرى ، كما أنهما معا تقدمان تفسيرا متكاملا لهذه الشعيرة •